المنار
١٣١٥
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
( قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق )
( مصر في يوم الاثنين ١٦ رمضان المعظم سنة ١٣١٨ — ٧ يناير (ك٢) سنة ١٩٠١ )

# المحاورات بين المصلح والمقلد

« المحاورة الثالثة »

تأثير الاعتقاد بقرب الساعة . اخذ العرب حساب الجمل عن غيرهم . الطريق المضبوط في استعماله . تاريخ الائمة الاربعة . انكار ذلك في القرآن . مناظرة سنيّ وشيعيّ . البحث في حديث اليهود السابق وعدم صحته . انكار المتكلمين ذلك الحساب في اوائل السور . السريانية ولغة الملائكة . الاتفاق في صحة ذلك الحساب . كشف الاولياء في الساعة ومقدماتها . جغرافية الآخرة وخرائطها . الاحاديث في الساعة وشرائطها . عمر الدنيا . الاحاديث الموضوعة والمنكرة في ذلك وغرض واضعيها . تحرير المقال في ذلك

عاد الشيخ الواعظ والشاب المصلح الى المحاورة متفقين على ان لا يقبل احد منهما قولا للآخر الا بدليل صحيح واستأنفا الكلام في مسألة قرب قيام الساعة وطرق الاستدلال عليها لان هذه المسئلة قد اضرت بالمسلمين وكانت مكسلة لهم عن العمل وموطنة نفوسهم على الرضى بالضيم والذل لما يلغط به الوعاظ الجهلاء في كل عصر من قرب قيامها ومن انه

لا بد ان يتقدمه ضعف الدين وتلاشي المسلمين وابتدأ الشاب الكلام فقال

(المصلح) : لا انكر ان هذا الشيء الذي يسمونه الجمّل قديم وانه انتقل الى العرب من السريانيين والعبرانيين ولكن دلالته ليست عقلية ولا طبيعية وانما تكون بالمواضعة والاصطلاح ولم يتفق للعرب ولا لغيرهم اصطلاح يصحح ان تؤخذ اية كلمة وتحسب ويحكم بعددها على انه تحديد لزمن امة من الامم في وجودها او استقلالها بل لا يوجد في اللغة رموز حسابية او غير حسابية تدل على الحوادث المستقبلة . وقصارى ما يمكن ان يستفاد من هذا الحساب بطريقة وضعية اصطلاحية يفهمها كل من يعرف الاصطلاح الوضعي فيها هو نحو ما جرى عليه الناس من التأريخ بها بان تذكر كلمة او كلام يعيّن بوقوعه بعد لفظ مخصوص كالألفاظ المركبة من مادة (ارخ) ويجعل ما يحصل من حروفها بالجمل بيان سنة حدث فيها شيء يراد توقيته ومعرفته ولا بد من ذكر ذلك الشيء بعبارة يفهم منها كل من تلقى اليه ما يراد منها . ومن هذا النحو قول بعضهم في بيان تاريخ مولد الأئمة الاربعة المجتهدين ووفاتهم ومدة حياتهم وهو :

تاريخ نعمان يكن سيف سطا ومالك في قطع جوف ضبطا

٨٠ ١٥٠ ٧٠ ٩٠ ١٧٩ ٨٩

والشافعي صين بير ند واحمد بسبق امر جمد

١٥٠ ٢٠٤ ٥٤ ١٦٤ ٢٤١ ٧٧

فخذ على ترتيب نظم الشعر ميلادهم فوتهم فالعمر

فلولا البيت الاخير الذي ارشد الى المراد لما اتضح لقارئه وسامعه وحينئذ لا تكون دلالته صحيحة ولا يصح ان يقصد العاقل ما ليس بصحيح

لأنه لغو فكيف يصح ان يكون مثل هذا اللغو مضافاً الى كتاب الله تعالى وهو نقص ومناف للبيان الذي وصف الله به القرآن بمثل قوله تعالى : « طسم . تلك آيات الكتاب المبين » وقوله عز وجل « حم . والكتاب المبين » فلو كانت هذه الحروف رموزاً ومعميات لما وُصِلَتْ بهذا الوصف الشريف الذي هو من اخص اوصاف القرآن . وقد انكر علماء الكلام ان يكون في القرآن كلام غير مفهوم للناس واستدلوا على ذلك بالنقل والعقل فلا يصح للمقلد ان يترك كلامهم وهم حماة العقائد وانصار الدين لكلام القصاصين والدجالين . وأذكر لك لطيفة جرت مع بعض الادباء في دلالة الكلمات بالتحكم في حساب الجمل وهو ان شيعيا اسمه حَمَد ناظر احد الادباء فاحتج عليه بحساب الجمل وموافقة بعض كلمات القرآن فيه لما اراد على نحو ما ذكرت لي في الاستدلال على قيام الساعة سنة ١٤٠٧ للهجرة بقوله تعالى « لا تأتيكم الا بغتة » فقال له ذلك الاديب هل تقبل مثل هذا الاستدلال قال نعم قال إذن انت كلب لان حروف حمد ٥٢ في هذا الحساب وحروف كلب كذلك . فقال حمد ان اسمي الصحيح احمد قال الاديب إذن انت اكلب فخجل وانقطع عن المناظرة

واما ماروى عن اليهود وذكرته في مجلسنا الماضي فلا يصح وقد اخذه المفسرون الذين لا يتحرّون في النقل من كتب السير والمغازي كسيرة بن اسحق واكثر ما في تلك الكتب لا يعتمد عليه كما علمت . وقد رأيت في شرح الاحياء ما نصه : « وقال السهيلي لعل عدد الحروف التي في اوائل السور مع حذف المكرر للإشارة الى مدة بقاء هذه الامة . قال الحافظ ابن حجر وهذا باطل لا يعتمد عليه فقد ثبت عن ابن عباس النهي عن (اباجاد)

والاشارة الى ان ذلك من جملة السحر وليس ذلك ببعيد فأنه لا أصل له فى الشريعة» ولو سلمنا صحته رواية لكان لنا ان نبحث فيه من حيث الدراية بمثل ما ذكرناه مختصراً واطال فيه بعض المتكلمين والمفسرين كالامام الرازى على انه لا يدل على ما ذكرت اذ يجوز ان يكون ما اجاب به صلى الله عليه وسلم يأساً وحيّاً ابنى اخطب مراداً به إبطال دلالتها ودحض شبهتهما لعلمه بأنهما يقصدان التلبيس والايهام فاضطرهما الى التصريح بالتلبيس حيث قال حيّ « قد لبّس علينا امرك يا محمد »

(المقلد) : ان فى بعض كلامك حجة عليك وهو قولك ان اباجاد الذى هو اصل حساب الجمّل مأخوذ من اللغة السريانية وهي لغة الملائكة فاىّ مانع يمنع ان يكون فى القرآن شىء من لغة الملائكة يدل على الأمور الغيبية ويكون فهمه مخصوصاً بالخواص الذين يعرفون كلام الملائكة كالأنبياء والأولياء فقد روى عن سيدى القطب الغوث الشيخ عبد العزيز الدباغ قدس الله سره العزيز ان اهل الديوان الباطنى لا يتكلمون الا بالسريانية لاختصارها فان الحرف الواحد منها يدل على معانى كثيرة لا سيما حروف اوائل السور ولعلك اطلعت على هذا فى كتاب (الذهب الابريز)

(المصلح) : انى لم اعن بقولى « السريانيين » الملائكة وانما اعنى جيلاً من الناس امرهم معروف فى التاريخ كانوا يسمون يوم السبت ابجد ويوم الاحد هوّز والاثنين حطى والثلاثاء كلمن والاربعاء سعفص والخميس قرشت والجمعة العروبة . وقد وضع السريان هذه الكلمات مشتملة على حروف الهجاء عندهم واخذها العرب عنهم واضافوا اليها كلمتين مؤلفتين من باقى حروف الهجاء العربية التى لا توجد فى اللغة السريانية وهما ثخذ

وضظغ وسموها الروادف اى اللواحق ووافقوا السريان ايضاً فى ضبط مراتب الحساب بها وزادوا عليهم بما فى لغتهم من الحروف الزائدة بجعل كل حرف يزيد على ما قبله ١٠٠ فالثاء ٥٠٠ والخاء ٦٠٠ الخ وساعدهم الجدُّ ان وافق الحرف الاخير (غ) آخر مراتب العدد عندهم وهو الألف. وزعم بعض المؤرخين ان العرب كانوا يسمون أيام الاسبوع بما ذكرناه عن السريان ايضاً

اما الملائكة فاعتقادى فيهم انهم عالم روحانى غيبيٌّ وان قياسهم على عالم المادة الذى يتفاهم عقلاؤه بأصوات تكيفها الحروف قياس غير صحيح او كما يقول الاصوليون قياس مع الفارق وان كل ما غاب علمه عن الناس ولم ينله كسبهم لا يقبل فيه الا قول عالم الغيب وليس عندى نص قطعي فى تفاهم الملائكة وتخاطبهم . واما ما ذكرت عن اهل الديوان الباطنى فلا اخوض فيه الآن بل ادعه للبحث التفصيلى فى امراض الامة الاسلامية ان دخلت معي فيه واكتفى الآن بأن اقول ان ما ذكرت عنهم لا تقوم عليه حجة مرضية ولا بينة شرعية فان خالفتنى طالبتك بالنص

(المقلد) : انى اعلم منك تعظيم شأن الوقائع الوجودية وكثيراً ما سمعتك تقول : ان الذى لا ينطبق على ما فى الوجود ولا يمثل حقيقة الواقع فهو خيال ووسواس من وساوس النفوس واوهامها يجب طرحه واهماله وتسميته جهلا وان سماه المبتلون به علما الا ما اخبر به المعصوم من علم الغيب فيسلم به من غير بحث فيه ولا قياس عليه بشرط واحد وهو ان يكون جائزاً فى نظر العقل . وانى احتج عليك بهذا فقد كان لى تلميذ فى الأزهر دخل مدرسة دار العلوم وتعلم فيما يتعلمون فيها التاريخ وولع به حتى كنت انهاه عن

الايغال فيه اذا اتفق لى الاجتماع به لقول بعضهم ان مطالعة كتبه تؤدى الى التشيع وبغض سيدنا معاوية رضى الله عنه . ولما رأيتك تحتج بالتاريخ وتعتبره حتى كأنه فقه جئته فى هذه الأيام وسألته هل يوجد فى التاريخ ان احداً استدل على بعض الأمور بحساب الجمل واصاب فقال نعم استخرج بعضهم من قوله تعالى : « الم . غلبت الروم » ان البيت المقدس يفتحه المسلمون فى سنة ٥٨٣ فكان كما قال . ومنذ سمعت هذه الواقعة خطر لى ان احتج عليك بها ولكننى كنت اتوقع الرد علىّ بأن كلام المؤرخين لا يحتج به على رأيي انا حتى ذكرت ذلك لبعض علماء الحنفية فقال : ان هذه الرواية مذكورة فى البحر وعبارته هكذا — واخرج الشيخ من جيبه ورقة وقرأ فيها مانصه — « كان شيخنا الاستاذ ابو جعفر بن الزبير يحكي عن ابى الحكم ابن برجان انه استخرج من قوله تعالى الم غلبت الروم الى سنين افتتاح المسلمين بيت المقدس معينا زمانه ويومه وكان إذ ذاك بيت المقدس قد غلبت عليه النصارى وان ابن برجان مات قبل الوقت الذى عينه للفتح وانه بعد موته بزمان افتتحه المسلمون فى الوقت الذى عينه ابو الحكم » فتعين الاعتماد على هذا والأخذ به

( المصلح ) : اراك نسيت اننا اتفقنا على ان لا يقبل احدنا من الآخر دعوى بدون دليل وليس من الدليل فى شىء ذكر الدعوى فى احد الكتب وتسليم احد العلماء بها . وما استخرجه ابو الحكم يجرى عليه حكم قولنا من قبل انه لا يعرف له وجه مضبوط فى الدلالة فلا نلجئني الى التكرار . نعم ان العلم الصحيح هو ما اثبته الوجود وان التاريخ هو الذى يحكي عن علم الانسان ولكن التاريخ انما يثبت لنا الوقائع الجزئية ونحن نحكم عليها بما يعطينا العقل

من القواعد العامة فاذا صحت رواية ابى الحكم فصحتها لا تثبت لنا قاعدة عامة وهى على ما هى عليه من الأبهام والغموض بل هى الى الاتفاق الذى يسمونه ( الصدفة ) اقرب

( المقلد ) : وماذا تقول فيما ثبت بالكشف عن الاولياء ؟

( المصلح ) : اقول بقول العلماء الأصوليين وهو انه حجة على من قام عنده لا يصح الاحتجاج به على غيره . ثم اننا اذا نظرنا فيما نقل عن اهل الكشف من الاخبار عن الملاحم وما يجرى فى العالم من الحدثان نرى اقوالهم متضاربة متعارضة وقد ظهر كذب اكثره

( المقلد ) : اذا سلمنا لك هذا فيحتمل ان يكون ما ظهر كذبه لم يصح عنهم او انه مما نقل عن الذين اشتهروا بالصلاح والولاية ولم يصلوا الى مقام الكشف الكامل اما مثل الامام الشعرانى الذى اطلع على الموقف والجنة والنار ومثل شيخه الخواص والشيخ الاكبر محيي الدين بن عربى فلا اظن انهم اخبروا بشىء الا وظهر كما قالوا ان كان قد جاء وقته والا فسوف يظهر

( المصلح ) : نحن لم نطلع على الآخرة فنطبق عليها ما ذكره الشعرانى من جغرافية الموقف ومافيه وما رسمه من الخرائط للصراط والميزان والجنة والنار مما لا نعرف له دليلا من كتاب ولا سنة ولا عقل ولا حكمة ومن العجيب ان اكثر شيوخكم يرغبون عن جغرافية الدنيا المشهورة النافعة وينكرونها ويرغبون فى جغرافية الآخرة المغيبة ويسلمون بها تسليماً .

واما ما جاء فى كتبه من الاخبار عن الفتن والملاحم وما يكون قبل الساعة فجله او كله منقول عن كتب الشيخ محيي الدين بن عربى وقد صرح هذا بان المهدى كان موجوداً فى زمنه وذكر وقائعه معه . وفى كلامه

عنه اشارات ورموز ومما اشتهر منها قوله انه يظهر بعد مضى ج ف خ وهى بحساب الجمل ٦٨٣ اى ان ظهوره يكون قبل انتهاء القرن السابع ونحن الآن فى القرن الرابع عشر . واذا لم تقتنع بهذا الشاهد فانى اعززه بكثير من الأمثال .

( المقلد ) : انى اغض النظر عن كل هذا الا الاحاديث المروية فى الكتب المعتبرة فانها وان لم تكن متواترة بحيث يجب اعتقادها على كل مسلم ويكفر منكرها فان من يصح عنده الحديث ويطمئن قلبه له يكون بالنسبة اليه كالمتواتر ولا يسعه الا الاعتقاد بمضمونه ولما رأيتك مطلعاً على كتب الحديث ولا تقبل منها الا ما تصح روايته اضطررت الى المراجعة عن حديث تأخير الامة الى يوم ونصف من ايام الآخرة فوجدت ان أبا داود روى عن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « انى لارجو ان لا تعجز امتي عند ربها ان يؤخرهم نصف يوم » قيل لسعد وكم نصف اليوم قال خمسمائة سنة . واما حديث : ان اساءت امتى فلها يوم وان احسنت فلها يوم ونصف فلما أقف على تخريجه الا انى اتذكر انى تلقيته عن بعض العلماء الصالحين وارجو ان اجد له سنداً صحيحاً .

( المصلح ) : ان ابا داوود يروى احياناً للضعفاء وقد طعن فى كثير من رجاله واذا سلمت لك صحة هذا الحديث من حيث السند فما قولك بمخالفته للواقع وقد قالوا انها من آيات الوضع لان الكلام الذى لا يطابق الواقع هو الكذب والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم عن الكذب فان قلت انما يكون مخالفاً للواقع اذا لم يمكن التأويل وهو ممكن لان العدد لا مفهوم له كما تقرر فى الاصول . اقول ان هذا التأويل يبطل استدلالك

بالحديث كيفما روى .

(المقلد) : جاء فى الصحيحين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « أجلكم فى اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى غروب الشمس » فاذا كانت مدة الدنيا من عهد آدم الى عهد نبينا عليهما الصلاة والسلام ٥٥٠٠ سنة كما هو منصوص فى بعض كتب التفسير وفى قصص الانبياء فثلثها يكون قريباً من ألف وتسعمائة وما بين العصر والمغرب ينقص عن الثلث لا سيما اذا اعتبرنا ان اول النهار الصبح كما هو مقتضى الشرع فى الصوم وغيره من الاحكام الكثيرة فاذا قلنا ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة كما ورد ايضاً فى الكتب المذكورة آنفاً يقتضى ان يضاف الى الخمسة آلاف وخمسمائة سنة ألف وخمسمائة أخرى وهى مقدار ما بين العصر والمغرب تقريباً يكون المجموع سبعة آلاف سنة فيوافق بعض النصوص بعضاً وربما كان ما قلنا انه تقريبي تحديدياً عند الله تعالى ويقويه موافقة النصوص فيه . ويصح ان يكون هذا مؤيداً لاستنباط ذلك العالم الصالح الذى لا يبعد عندى ان يكون من اهل الكشف ويكون المراد من إتيان الساعة بغتة اى سنة ١٤٠٧ إتيان مقدماتها واشراطها الكبرى كالمهدى وانتشار الضلال ويصح قولى الاول

(المصلح) : اعلم ايها الاستاذ — ولاتؤاخذنى بقول اعلم — ان من اهل الملل من دخل فى الاسلام فى العصر الاول عن غير بينة ولا اعتقاد وتظاهروا بالتمسك به لاجل ان يوثق بهم وتقبل رواياتهم فيما قصدوه من افساد عقائده وادخال الدخائل التى تثير الفتن وتفسد الاخلاق فى تعاليمه وقد اعتنى بعضهم باقناع المسلمين بان دينهم قصير الامد ومدة بقائهم فى

الدنيا قليلة ليوقعوا هذه الامة في هاوية اليأس ويثبطوا هممهم افرادها عن السعي في الفتوح ومد ظل السيادة والسلطة على رؤس الامم او يشككوهم في دينهم فابتدعوا طريقاً جديدة في الاستدلال بالكتاب والسنة وهي ما بينا ابطاله ووضعوا احاديث كثيرة في ذلك يناقض بعضها بعضاً اهتدى المحدثون المحققون رضي الله عنهم الى وضع بعضها ودخل عليهم الغش في بعض آخر لتظاهر رواته بالصلاح

ثم صرحوا بوضعه او ضعفه حديث : عند رأس المائة سنة يبعث الله ريحاً باردة طيبة تقبض روح كل مؤمن . قال بعضهم انه باطل فدكذبه الوجود وقال ابن عديّ فيه بعض الضعف ولكن الحاكم اخرجه في المستدرك وصححه . وفي معناه حديث مسلم عن ابي سعيد مرفوعاً : لا يأتي مائة سنة وعلى الارض نفس منفوسة اليوم . ورواية اخرى له عن جابر مؤكدة بالقسم . وهذا اقرب الى التأويل فقد قالوا ان المراد به انقضاء الجيل

ومما قطعوا ببطلانه حديث : لا يولد بعد المائة مولود لله فيه حاجة . قال الامام احمد ليس بصحيح كيف وكثير من الائمة ولد بعد ذلك . وحديث : زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة قالوا هو موضوع . وحديث : ان دين النبي صلى الله عليه وسلم لا يبقى بعد وفاته الى القيامة الف سنة . قال الامام النووي باطل لا اصل له . وانا لا اعتقد بصحة حديث فيه تحديد قيام الساعة لان القرآن مصرح بأنها مما استأثر الله بعلمه « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك

خفيٌّ عنها قل انما علمها عند الله ولكنَّ اكثر الناس لا يعلمون » فلو كان المراد بلفظ ( بغتة ) تحديد وقتها لما كان للحصر قبله وبعده معنى . والآيات في هذا المعنى كثيرة

واما حديث الصحيحين فهو يدل على ان ما بقي من عمر الدنيا يعد بالالوف او بالملايين لان ما ذكرت من تحديد عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة هو من الاسرائيليات التي لا ثقة بها وانما يوثق بما ثبت بالبحث العلمي في طبقات الارض وآثار الانسان فيها وهو مقدر بالملايين من السنين لا بالالوف . ولا ينافيه حديث : بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابة والوسطى لان المراد به التقريب النسبي

( المقلد ) : وما ذا تقول بحديث مسلم : لا تقوم الساعة الاَّ على شرار الخلق . مع ملاحظة فساد اخلاق المسلمين واعراضهم عن العمل بدينهم

( المصلح ) : لِمَ تذكر هذا وتنسى ما رواه مسلم ايضاً من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه وحتى تعود ارض العرب مروجاً وأنهاراً . وفي رواية أخرى له قال « تبلغ المساكن إهاب أو يهاب » واهاب بقعة خارج المدينة المنورة يعني ان العمران يتسع فيبلغها . فاين استعداد جزيرة العرب لهذا اليوم ومتى أخذت به فمتى يتم ؟

ثم انصرفا على موعد سنشرح ما يكون فيه ان شاء الله تعالى